

اسم المقال: الترنسندنالية في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر

اسم الكاتب: أ.م.د. رنا مولود شاكر

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/7604>

تاريخ الاسترداد: 2026/06/09 01:27 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة قضايا سياسية الصادرة عن كلية العلوم السياسية في جامعة النهدين ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.



الترنسندنالية في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر[▽]

Transcendentalism in contemporary American political thought

Asst. Prof. Rana Mawlood Shakir

أ.م.د. رنا مولود شاكر^(*)

الملخص:

أن الترنسندنالية تؤمن بقوة روح وعطاء الإنسان وترى أنه يمتلك من القدرات الذاتية ما يؤهله لبناء مجتمع تسوده العدالة والحرية ولا تتعرض حقوقه للتقويض أو الانتهاك، والفكر المتعالي أعاد إحياءه الفيلسوف كانط في عصر التنوير الأوروبي لكنه لم يحقق تأثير واقعي في الفكر السياسي الغربي، أما المناخ الفكري والسياسي الأمريكي كان مستعداً لتبني أفكاره وتطبيقها كجزء من بناء المجتمع المدني- السياسي والتي تزامنت مع حركة الاستقلال العام ١٧٧٦، وتحولت تأثيراته الفكرية للغة مشتركة بين النخب السياسية للدولة وعامة الشعب، ونجد أن المتغيرات السياسية والاقتصادية في القرنين التاسع عشر والعشرين لم تمنح الترنسندنالية وأفكارها فرصة إحتلال مركز الصدارة على مستوى الفكر السياسي الأمريكي المعاصر، لكن أسسه الفكرية أستطاعت التجذر عميقاً بفكر وسلوك العقل الفردي والجمعي، والذي تجسد بظهور نظريات وإطروحات فكرية وسياسية ذات هوية أمريكية خالصة، وأسهمت أيضاً بتحقيق عملية الأستدامة لحماية قيم ومبادئ الديمقراطية الليبرالية وتحويلها لاحقاً لأنموذج عالمي على مستوى الفكر والعمل السياسي.

الكلمات المفتاحية: الفكر المتعالي، التسامح الديني، الحرية، النزعة المجتمعية، المساواة الليبرالية، الديمقراطية التفاعلية.

Abstract:

Transcendentalism believes in the power of the spirit and generosity of man and believes that he possesses the intrinsic capabilities that qualify him to build a society in which justice and freedom prevail and whose rights are not undermined or violated. Transcendental thought was revived by the philosopher Kant in the era of European Enlightenment, but it did not achieve a realistic

تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٦/٣٠

تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٤/١٢

تاريخ التقديم: ٢٠٢٤/٣/١٥

^(*) جامعة بغداد/ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية. Rana.mawlood@cis.uobaghdad.edu.iq

impact on Western political thought. As for the intellectual and political climate The American was ready to adopt his ideas and apply them as part of building a civil-political society that coincided with the independence movement of 1776, and his intellectual influences turned into a common language between the state's political elites and the general public, We find that the political and economic changes in the nineteenth and twentieth centuries did not give Transcendentalism and its ideas the opportunity to occupy the forefront at the level of contemporary American political thought, but its intellectual foundations were able to be deeply rooted in the thought and behavior of the individual and collective mind, which was embodied in the emergence of intellectual and political theories and theses with a purely American identity, and contributed Also by achieving the sustainability process to protect the values and principles of liberal democracy and later transforming it into a global model at the level of thought and political action.

Keywords : Transcendentalism, religious tolerance, freedom, communitarianism, liberal egalitarianism, interactive democracy.

المقدمة:

ظهرت الترנסندننتالية بالولايات المتحدة الأمريكية في البداية كحركة للتفكير الديني الراديكالي ضد التقاليد، واتسمت بالعقلانية والمحافظة وتمثل إمتداد لأفكار حركات الإصلاح الديني التي إنتشرت في أوروبا بالقرن الخامس عشر الميلادي لنجد أن رواد هذه الحركة تأثروا بأفكار قادة الإصلاح أمثال مارتن لوثر وأولريخ زونجلي وجون كالفن، كما تزامن هذا التأثير مع تبني أفكار التنوير الأمريكي كجزء من طروحاتهم الفكرية والتي إنتشرت بسرعة في المستعمرات الثلاثة عشر منتصف القرن السابع عشر، ليسهم التفكير الترנסندننتالي بدعم أفكار التسامح الديني وتعزيز منطق التفكير العقلاني على المستوى الديني والسياسي والعلمي، وأدى لتنوير العقل الأمريكي لإخراجه من ركوده الفكري وخضوعه لأفكار تقليدية بفعل هيمنة المستعمر، هذه المتغيرات أستطاعت تكوين قيادات دينية وإجتماعية وسياسية في تلك المستعمرات تمكنت تدريجياً من توحيد رؤيتهم حول كيفية إدارة شؤون حياة مجتمع المستعمرات وتحديد علاقتهم بالسلطة بما يضمن حقوقهم وحررياتهم، ومع عمليات الشد والجذب من قبل التاج البريطاني في تنفيذ التطلعات السياسية لهم بدأت تتبلور تيارات فكرية جديدة أسهمت لاحقاً بنقل منظور تفكيرهم من الجانب التقليدي لجانب التفرد والريادة لينتج عنه ما يعرف بالفكر السياسي الأمريكي، الذي أسس له الأباء

المؤسسين الأوائل والذين أعلنوا إنطلاق الثورة الأمريكية العام ١٧٧٦ وإعلانوا الأستقلال عن الأستعمار الأنكليزي.

ونجد أن الرؤى الفكرية للترنسندننتس إنتقلت من مجالها الديني للسياسي والأخلاقي والأقتصادي والإجتماعي، وذلك بفعل تفاعلها وتأثرها بالأحداث التي طرأت على المجتمع الناشيء قبل الأستقلال وبعده، وعملية الأنتقال هذه ساعدت كثيراً بتطور وتجديد الفكر السياسي الأمريكي عبر ظهور نظريات سياسية وإطروحات فكرية جديدة وتختلف عن الفكر والتفكير الأوروبي، وذلك بفعل تأثرها بالمنظور الفكري الترنسندننتالي الذي تحول من حركة دينية شعبية- إجتماعية لقوة مؤثرة في الحركة الفلسفية الأمريكية ونظرياته السياسية والمعرفية لتصبح أنموذجاً خاص في مجتمعها وله حضور وتأثير عالمي في الأوساط الفكرية والسياسية.

أهمية البحث: بيان مدى قوة تأثير طروحات الترنسندننتالية في تجديد تفكير العقل الأمريكي والذي أسهم في ظهور نظريات سياسية مختلفة عززت من قيم ومبادئ الديمقراطية الليبرالية، وقادت نحو بناء مؤسسات قادرة على التكيف مع تطورات العمل السياسي وإدارة السلطة .

هدف البحث يهدف البحث لبيان حجم اسهامات الترنسندننتالية ليس على مستوى البنية الفكرية وإنما قدرتها بالإرتقاء بمكونات الشخصية الأمريكية وترسيخ فلسفة الاخلاق وقيم التسامح الديني والعدالة في وعيها وسلوكها والذي انتج لاحقاً بيئة مجتمعية ديمقراطية فاعلة توازن ما بين احترام التعدد والتنوع الثقافي والحفاظ على فرديته.

مشكلة البحث: ان الترنسندننتالية بسبب توجهاتها المتعالية في التفكير وتركيزها على نقاء الفرد كجزء أساس لبناء المجتمع والدولة تقاطعت مع طبيعة السلوك السياسي لإدارة السلطة مما حال من دون تصدر أفكارها على الرغم أنها الهتم أجيال من الفلاسفة والمفكرين الأمريكيين وأسهمت بأنتاج نظرياتهم السياسية.

فرضية البحث: أن الترنسندننتالية وطروحاتها الفكرية أسهمت في تطور حركة الفكر السياسي الأمريكي المعاصر، وأثرت بشكل واضح على المنظومة الفكرية والقيمية للمجتمع عبر ترسيخها للحرية كقيمة عليا ومن أولويات بناء الأمة والدولة.

الإطار المنهجي للبحث: استخدمنا في هذا البحث المنهج الأستنباطي وتضمن مقتربين المقرب التاريخي لتحديد جذور الفكر للترنسندننتالي والمقرب التحليلي لبيان تأثير أفكاره في التنظير السياسي الأمريكي.

أولاً: البنية الفكرية للترنسندننتالية الأمريكية

ان الأساس الفكري للترنسندننتس الأمريكي أو ما يطلق عليه (بالتفكير المتعالي) لرواد الفكر السياسي، أرتبط حول أمرين مهمين "الأول يركز على كيفية التحرر من الفكر التقليدي السابق والساد في أوروبا والثاني إعتقاد هذا النوع من التفكير لتعزيز مكانة الحرية والفردية وكلاهما يشكلان ركيزة أساسية لبناء الأمة والدولة الأمريكية وعبر طروحات الفلسفة المتعالية وصل كلاهما الى مرتبة التقديس كقدسية العقيدة الدينية"^(١)، ويرى رواد الفكر الترنسندننتالي أن الوصول لمرحلة تساوي قيمة و قدسية كل منهما تتطلب إيجاد منافذ قوية لتحرير الوعي العقلي العام من قيود وسيطرة الموروث التقليدي الذي وضع الاستعمار الأنكليزي مرتكزات عدة له، أعاققت تحرر الذات الأنسانية وإرادتها وأبطأت من عملية تطور المجتمع وانتقاله من حالته البدائية للحالة المدنية- السياسية، ولأن فلسفة الترنسندننت ورؤيتها الفكرية إهتمت بالنضوج العقلي كونه الجزء الأهم لتحرير الأنسان من كل قيد لذا تعرف بأنها " أحد أوجه فلسفة ونظرية المعرفة لأنها تمثل الأنفتاح الدائم للعقل البشري ليدرك عبر قدراته الظاهرة والكامنة ما يحيط به ليكتشف بذاته جميع المعلومات والحقائق التي تمس واقعه وعندها يختار بإرادته الحرة كيف يجب أن يعيش ويتفاعل مع الآخرين من دون خضوع أو إستعباد تحت أي مسمى"^(٢)، وأفكارها هذه تجاوزت الرؤى والطروحات الفكرية المعتمدة على الفكر التجريبي أو الحسي أو المادي، والتفكير الترنسندننتالي يعلو ويسمو عليها جميعاً لأنه يمثل أعلى نقطة للإدراك العقلي المنفتح والأخير يرتبط بالروح العالية التي تصل لمستوى من المعارف لما فوق التجربة والمحسوس.

وتعرف الترنسندننتالية أيضاً بأنها "التفكير المتوازن الذي يجمع بين العقل الخالص والعمل عندما يمتلك الأنسان وعي عالي وإرادة حرة تمكنه من السيطرة والتحكم بكل ما يحيط به ويعمل على تنظيمه بما يتوافق مع حرية وكرامة الأنسان وإعلاء الضمير لنشر الخير المطلق الذي يحكم الحكام ويحاسب القضاة ولا يتسامح أبداً في الأنحياز الى طرف من دون الأخر"^(٣)، وهذا الطرح المتعالي يعبر عن رسالة واضحة للأفراد مفادها أن الهدف من وجود الأنسان بهذه الحياة التصالح مع ذاته أولاً ليرتقي لمستوى التفكير العميق النقي، ويعلو به لدرجة النظر من حوله بروح إيجابية متوازنة تجعله يصل لقمّة الإدراك، لأنه

(١) Warren, Robert, Romantism, Newyork, Garland, 1986, p3-5.

(٢) Joel Myerson, Transcendentalism, Oxford University Press, 2000, P 24-28.

(٣) Warren, Robert, op- cit, P20-23.

يحمل بداخله كل ما يحتاجه ليضع ضوابط وتنظيم حياته وتفاعله مع الآخرين، وفق مبدأ الخير المطلق والذي يمثل القاعدة الأساس لكل الأشياء التي خلقت في العالم، وأنطلاقاً من ذلك نجد أن الفكر المتعالي يمثل الرؤية المعرفية لعلو التفكير العقلي الخالص وجوهر ما يدركه يختلف تماماً عما يراه أو يدركه العقل السليم، لأن الأول يتماهى مع أفكار فلسفة المعرفة ويتفاعل معها بوعي ناضج وتام، أما الثاني فهو أما تستولي عليه وتملكه أو لايمكنه التفاعل معها جزئياً أو كلياً، وهنا يوضح لنا رواد الفكر الترנסدناتي الفرق بين طروحات فلسفتهم التي تتميز حركتها أنها عامودية وتأخذ بالصعود نحو الأعلى، وبين طروحات الفلسفة الوضعية الأخرى والتي تتحرك أفقياً وتنتقل من جانب الى آخر أو من الأعلى للأدنى لتثبت صحة الفكرة الثانية على الأولى والعكس صحيح، وللتعرف بشكل أدق على طبيعة البنية الفكرية للترنسندنالية علينا البحث في جذور نشأتها وأصولها الفكرية وأيضاً تحديد مسارات تطورها وتأثيرها على منظور العقل الأمريكي ووفق الآتي:

١- جذور الفكر المتعالي في العقل الأمريكي :

أن الأصول الفكرية للترنسندناتس تعود جذورها لعمق التاريخ وتحديداً الى عهد المدرسة الأييلية^(*)، وأسست لفكرة أن "إدراك الواقع لا يتم إلا عبر الوصول للحقيقة وهي تدرك بالتفكير العقلي وكلما تطورت قدراته كلما تمكن من التمييز بين الوهم أو الخيال وبين الحقائق وهذا التطور يجعله يسمو على باقي الكائنات ويمكنه من السيطرة على محيطه أما إذ بقي يتبع إدراكه الحسي فأنها ستقوده لتصورات مضللة أو غير صائبة"^(١)، وفلاسفة الفكر اليوناني أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو قاموا بتطويرها لأنضاج التفكير العقلي عبر إنشاء إتحاد قوي بين قدراته ومهاراته لتفسير نظرية المعرفة ومعالجة الظواهر والمشكلات المحيطة بالإنسان، وتوظيفها لنشر الفضيلة والمثل العليا للأخلاق لتكوين بيئة إجتماعية- سياسية تتميز أفكارها بالسمو والرفعة على سائر المجتمعات الأخرى.

وبينوا أن نضوج تفكيرهم العقلاني سيحول فلسفتهم لمرتبة الفكر المتعالي اللامحدود وصولاً لذروة تحقيق أعلى درجات المعرفة في مختلف الأمور، وعلى الرغم من تعدد الأهتمام بالفكر الترנסدناتي في العهد

(*) المدرسة الإييلية: هي إحدى المدارس الفلسفية التي ظهرت في الحضارة اليونانية القديمة وسميت بهذا الأسم نسبة لمدينة إيليا جنوب إيطاليا وكانت إحدى المستعمرات اليونانية سنة ٥٣٥-٥٤٠ ق.م، أسسها بارمينيدس وطور توجهه الفيلسفي زينون ولعبت دوراً مهماً في تطور الحركة الفلسفية ليس في اليونان وحسب إذ سبقت عهد سقراط وأما على مستوى الفكر الغربي الحديث وتمثل المدرسة الجذور التي منها انبثقت الترנסندنالية الأولى للمزيد من المعلومات ينظر: Joel Myerson ,op- cit ,p 38-41.

(١) Philip F. Gura, American Transcendentalism, Hill & Wang Press, 2008, P 116-117.

اليوناني إلا أن طروحاته لم تتمكن من الانتشار أو التحقق فعلياً على أرض الواقع بشكل شامل وإنما أجزاء محددة منها، بسبب أن العقل البدائي ذو التفكير البسيط هو من يهيمن على الواقع الاجتماعي والسياسي ويمثل الأغلبية، في حين أن العقل الخالص وفكره المتعالي مثل الأقلية ضمن نخبة الفلاسفة والمفكرين وحسب، ونجد أن عدم قدرة إستيعاب وأحتواء أفكار وطروحات الترנסندنالية للعقل البسيط والعملية في المجتمع إستمرت طويلاً، لذلك بقيت أفكارها وتوجهاتها تدور في فلك نخبة النخبة للعلماء والمفكرين والفلاسفة الذين إعتدوا توظيف أفكارها في نظرياتهم الفلسفية والدينية والسياسية لتصنف كأفكار إبداعية أو ريادية^(*)، لتبقى غالبيتها بعيدة عن تمثالتها الاجتماعية والسياسية ولم تصل لعمق التفكير الفطري لعامة الناس لتطور من مهارات تفكيرهم، لأعلى مستوى للوعي والإدراك ليتمكنوا سريعاً للوصول لأهدافهم وغاياتهم في الحياة.

ومع حركة التغيير التي طرأت على الفكر الغربي في عصر التنوير بدأ التفكير المتعالي يتحرر من سباته الطويل ويتمكن تدريجياً من تحرير العقل الفردي والجمعي " من تبعية الموروث التقليدي وهيمنة الأفكار الكنسية والسياسية المستبدة على المقدرات العقلية للإنسان وينتقل من مرحلة القصور العقلي والطاعة العمياء لمرحلة الأتزان العقلي وتصبح سيادة العقل مرتكز لتفكيره وتفاعله مع محيطه والمصدر الأول لوصله للمعرفة والأيمان وسمو الأخلاق وأتساع نطاق حرية فكره وتعبيره"^(١)، ويعد الفيلسوف كانط^(*) أول من إعتد على طروحات الترندسندنتس وتوظيفها لأنتاج ما أسماه "بثالث تقدم الوعي الإنساني ويشمل وحدة الإدراك وقوة العقل الخالص وحدة الإرادة الحرة ومتى ما ترسخوا في التفكير ستحل كل معضلات فهم وإدراك نظرية المعرفة عبر تمكن العقل البسيط من الأرتقاء بقدراته ليستوعب ويدرك الأفكار المتعالية التي يتحدث عنها منظرو الترندسندنتية"^(٢)، ويرى أن إجتماع مضامين ذلك الثالث قد

^(*) في العصر الوسيط ومع ذروة هيمنة الكنيسة التقليدية على السلطة الحاكمة والمجتمع بدأ فلاسفة الفكر المسيحي وفي مقدمتهم آباء الكنيسة الأوائل مثل القديس أوغسطين توظيف أفكار الترندسندنتس لدعم أفكار العقيدة المسيحية وسلطة البابا الكهنوتية وفكرة الخلاص وتقسيم العالم لثنائية الخير والشر وترسيم حدود ومكامن الحق والخير والعدالة للبشرية المرتبط بالوحي الألهي للمزيد ينظر: Philip F. Gura, op- cit, p124-126.

^(١)Lawrence Buell, The American Transcendentalists, Modern Library Publisher, 2006, p72-80.

^(*) إيمانويل كانط(١٧٢٤-١٨٠٤) فيلسوف ومفكر ألماني ويعتبر آخر فلاسفة عصر التنوير الأوروبي والأكثر تأثيراً في تطوير الفكر السياسي الغربي المعاصر حتى القرن الحادي والعشرين، أفكاره وفلسفته أخذت بعداً متطوراً وريادي تفوق عن سبقه وشملت مسارات دراسته ومؤلفاته أعمالاً هامة عن نظرية المعرفة تتعلق بالدين والقانون والأخلاق والتاريخ والسياسية ويعد هو المؤسس الفعلي للترندسندنتالية الحديثة ينظر: إيمانويل كانط، نقد ملكة الحكم، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بيروت لبنان، ٢٠٠٩، ص٥-٧.

^(٢)Lawrence Buell, op- cit, 91-95.

لا تكون على نفس الوحدة أو النسق من حيث الوعي والأدراك العقلي، وهي تختلف من بيئة مجتمعية لأخرى بحسب طبيعتها السياسية والدينية والثقافية، لكن ذلك يكفي لأن يتحقق عبره إنتاج الخير الأسمى وتعزيز القانون الأخلاقي إذ منحت وحدة الإرادة الحرة دعم أو حيز أكبر عندها يتمكن العقل الخالص من ترسيخ وتطبيق مبادئ ترنسندنالية وتحويلها لقيمة عليا ومقدسة في الوعي الفكري لأي مجتمع، أن عملية توظيف الفكر المتعالي لتحرير الوعي والفكر السياسي للمجتمع الغربي في عصر التنوير أسهم بشكل واضح في زيادة حركة النشاط الفلسفي - العلمي والذي أنسلخ تماما عن المعتقدات الميتافيزيقية، كما عزز من نشر الإطروحات الفكرية لفلاسفة ذلك العصر لاسيما المتعلقة بنظريات العقد الإجتماعي وظهور الحكومات الدستورية التي قوضت من سلطة الملكية المطلقة، ومهدت الطريق لثبوت دعائم مبادئ الحرية والفردية والتسامح الديني وفصل الدين عن الدولة والتي بمجملها قادت لتحقيق الإصلاح السياسي والإجتماعي المنشود لتدخل أوروبا نحو النهضة الفكرية المزدهرة منذ منتصف القرن الثامن عشر.

وشكل تطور نشر المطبوعات والكتب بنقل الفكر الترنسندنالي لنطاق واسع ليصل تأثيره لمستعمرات العالم الجديد، ويتزامن مع الثورة الأمريكية وإعلان الاستقلال إذ تبنى الآباء المؤسسين الأوائل العديد من أفكاره ونجدها ماثلة بالدستور الأمريكي العام وحتى ١٧٨٩ وحتى يومنا هذا، ومعنى ذلك أن العقل الأمريكي تبنى الفكر المتعالي بالجانب القانوني وأطروحاته المتعلقة "بالخير المتأصل في النفس البشرية وإيمانه بحريته وفردانيته تتوافق مع توجهات مشرعي الدستور والقانون وأدركوا أن إعتقاد التوازن العقلاني ما بين الأدلة المنطقية والحس الأنساني سيعزز الحكم الرشيد للسلطة الحاكمة ويدعم أسس بناء الدولة لأن الإرادة العقلانية هي أعلى أداة لضبط وتنظيم شؤونها"^(١)، وأستطاعت مخرجات التنظيم القانوني المتأثر بالفكر الترنسندنالي الانتقال لرواد الفكر السياسي الأمريكي الحديث، الذي تطور لمراحل متقدمة لتتحول أطروحاته الفكرية للغة تفاعل مشتركة ومتاغمة ما بين النخبة وعامة المجتمع، وعلى الرغم أن " مدرسة الفكر الترنسندنالي أصولها أوروبية وكانط هو المؤسس الفعلي لها لكن المدرسة الأمريكية للترنسندنانت تفوقت عليها بتوظيف أفكارها ومخرجاتها على أرض الواقع وحولتها لنموذج للتفكير والتعبير والممارسة بين الأوساط الشعبية وليست مجرد أفكار تدور في فلك نخبة المفكرين والمجتمع"^(٢).

وللمزيد ينظر: إمانويل كانط، نقد ملكة الحكم، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥ - ٣٩ .

(١) Philip F. Gura, op- cit, p133-135.

(٢) Lawrence Buell, op- cit, p115-118.

أن نجاح وتطور الفكر المتعالي الأمريكي لما بعد الاستقلال أرتبط بحركة التغيير المتعددة التي سعى مفكروها لنشرها لتصبح جزء أساس من ثقافة العامة، لإعادة تشكيل ورسم نشأتهم الفكرية والسياسية مما يسهل من عملية إنسلاخه عن الموروث التقليدي الذي ساد إبان الاستعمار، وهذا يكشف لنا كيف أن مؤثراته الفكرية إمتدت لتشمل جوانب متنوعة وليس فقط الفكر والفلسفة، ويعد رالف والدو إمرسون^(*) الأب والمؤسس الروحي للفكر الترנסندنالي إذ بدأت أفكاره تؤثر بالوسط الشعبي في مناطق الساحل الشمالي الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية، وكانت طروحاته الفكرية تشهد تفاعلاً كبيراً بين عامة الناس وليس على مستوى طبقة النخب وحسب، لذا تم تصنيفها كحركة شعبية - دينية لأن نشاطه الذي ظهر منتصف عشرينات القرن الثامن عشر ركز أولاً على القضايا الدينية والعمل على تغيير بعضها وتكوين رؤية عقائدية جديدة للدين، ومع تطور الإقتصاد والعمران الذي تزامن مع الثورة الصناعية نهاية القرن الثامن عشر أنتشرت أفكاره المتجددة في عموم البلاد وتفاعلت معها "حركة العلوم العقلية والأصلاح السياسي والإجتماعي وسعيهما لتطوير المجتمع والأنسان ومنظور تفكيره عبر تنشئته بيئة فكرية وثقافية متكاملة تعمل على صياغه سلوكه وتهذيبه بما ينسجم مع القيم الأخلاقية العليا ومبادئ الحرية والفردية والمساواة وتحوله لنموذج عالمي وفريد يقبلى به من قبل جميع شعوب العالم"^(١).

أما هنري ديفيد ثورو^(*) أسهمت كتاباته الأدبية بتطور الأدب الأمريكي ونقله لمرحلة الأبداع والتفوق على نظيره الأوروبي، لكن تأثير أفكاره عن الأصلاح السياسي كان أقوى وتميزت بالأناركية المتعالية حول السلطة والفردية والمساواة ولعبت دوراً مؤثراً بحركة الإحتجاجات حول الغاء العبودية التي سبقت الحرب

^(*) رالف والدو إمرسون (١٨٠٣-١٨٨٢) فيلسوف وشاعر أمريكي تخرج من جامعة هارفرد وله دور كبير في تطوير حركة الفكر السياسي والثقافي للولايات المتحدة الأمريكية في القرنين الثامن والتاسع عشر، وأسس اللبئات الأولى للترنسندنالية الأمريكية وانتشر تأثيرها في عموم البلاد وأسهمت أفكاره بتطوير نظريات سياسية عدة أهمها البراغماتية والنقدية الجديدة وأسهم بظهور حركات سياسية وإجتماعية مهمة في القرن العشرين مثل حركة الحقوق المدنية والغاء العبودية والأعتراف بالتعدد والتنوع الأثني والعرقى والعدالة الإجتماعية للمزيد ينظر: رالف والدو إمرسون الحرية والترانسندنالية، وفاء علواني، وسمير تTAGO، دار الوفاء لدنيا للنشر والطبع، الأسكندرية، ٢٠٢٠، ص ٢٨-٣٤.

^(١)Walter Leatherbee Leighton, French Philosophers and New- England Transcendentalism, Legare Street Press, 2023, p41-47.

^(*)هنري ديفيد ثورو (١٨١٧-١٨٦٢) فيلسوف وشاعر أمريكي ومن رواد الفكر المتعالي كان زميل وتلميذ إمرسون وأستطاع أن يطور من التفكير الترנסندتي عبر طروحاته السياسية في كتاباته ومؤلفاته التي تميزت بالدفاع المقدس عن الحرية والفردية والمساواة وشجع معارضة السلطة وأكد ان شرعيتها ستفقد إذا صادرت الإرادات الحرة للعقل الجمعي للمزيد ينظر: حمدي مهران، الطاعة المدنية والعصيان المدني بين ويليام بيلي وهنري ثورو، دار الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع، ٢٠٢٣، ص ٤٣-٤٥.

الإهلية الأمريكية العام ١٨٦١، وطروحاته السياسية لاسيما عن الديمقراطية والمشاركة السياسية والمواطنة سابقة لعصرها وعبرت عنها بمقالته الشهيرة **مقاومة الحكومة المدنية** وتشير أن أصل حياة الإنسان هي الحرية والفردية وصيانتها وفقا للعقد الإجتماعي المنبثق "عن إرادة العقل الجمعي تجعلها من مسؤوليات الحكومة التي تأسست بموجبه، وبالمقابل المواطن يحترم ويلتزم بقوانين السلطة طالما هي ملتزمة بإحترام حقوقه وفق مبادئ الحق والعدل والمساواة ومتى ما خالفت شروط العقد يحق له بعدم طاعتها وعصيانها ولايعد عدواً أو خائناً لها وإنما هو حقه و واجبه الأخلاقي لأصلاح سلوك سياسات حكومته"^(٢)، أن جوهر فكره السياسي عن العصيان المدني أو معارضة توجهات السلطة الحاكمة تنبع من فكرتين، **اولهما** ان الحكومة الأفضل هي من تحكم أقل بمعنى أن وظيفتها تقع ضمن التنظيم القانوني والإدارة السياسية وتوفير الحماية للمواطنين، **وثانيهما** أن عصيان السلطة واجب أخلاقي وديمقراطي إذ لايجب على المواطن طاعتها وتأييدها حينما تتخذ قرارات تتعارض مع قيمه ومبادئه وتخالف شروط التعاقد، ومعارضته لها تمثل أحد الأوجه الإيجابية المعبرة عن إرادته الحرة لأصلاح القرارات السلبية التي تتخذها الحكومة وتمنعها أن تصبح فاسدة أو مستبدة،

أن منظور التفكير الترسندي لثورو حول الإرادة الحرة للإنسان وربطها بأخلاقه الطبيعية وقانونها وإعتماد التوازن العقلي كجزء من التنظيم والإدارة السياسية تركت أثراً كبيراً في بنية العقل الأمريكي المعاصر والهمت مفكره لتطوير نظرياتهم عن الديمقراطية الليبرالية وتداول السلطة والمشاركة السياسية وإحترام التعدد والتنوع الذي يتميز به المجتمع الأمريكي والتعامل مع الجميع وفق مبادئ العدالة والمساواة وتكافئ الفرص، وتسليط الضوء على هذه القضايا من قبله أسهمت لاحقاً بإنتاج سلطة أكثر إحتواء وفاعلية لإدارة شؤون مواطنيها، وجنبتها من التعرض مجدداً للعنف والحروب التي تمزق وحدة الدولة، مما أعطى للحكومات الأمريكية المتعاقبة القدرة على تحقيق الأستقرار المنشود والحصول على شرعية مستدامة عبر حصولها على رضا معظم الإيرادات الحرة المكونة لعقدها الأجماعي.

٢- **مسارات البناء الفكري للترسنندنالية:** أن الأفكار والآراء التي قدمها الفكر المتعالي أثارت إهتمام الأوساط الإجتماعية والسياسية والثقافية، ليس على مستوى طبقة النخبة سواء المجتمعية أو الحاكمة وإنما عامة الشعب لأن ما يقدمه دفعهم للبحث عن الحقائق، وشجعهم للخروج من بوتقة هويتهم وموروثهم

(١)Walter Leatherbee Leighton, op-cit, p64-69.

وللمزيد ينظر: حمدي مهران، الطاعة المدنية والعصيان المدني، مصدر سبق ذكره، ص ٥١-٥٦.

الفكري والتاريخي التقليدي، مما عزز لديهم إعلاء شأن ذاتهم وتثقيفها بالرؤى التجديدية للترانسندننت الأمر الذي سهل من عملية انتقال المجتمع الأمريكي، من حالة الجمود والخوف من المستقبل الى حالة التفاعل والتماهي مع كل المتغيرات المختلفة والتي تزامنت مع حركة النهضة الأمريكية الحديثة، وهذا الإهتمام والشغف بالطروحات الترنسندنالية شكلت المسارات الفعلية لبنائه الفكري والتي يمكن أن نحدد أهمها بالآتي:

المسار الديني: بداية أنتشار الفكر الترنسندنتي أرتبطت بالمعتقدات الدينية وتبنى أيمرسون وأنصار التفكير المتعالي^(*) قضية تحرير العقيدة المسيحية للمجتمع من قيود وهيمنة سلطة الكنيسة، لذا يصف البعض طروحاته عن الدين أنها ثورية راديكالية تهدف " لأنشاء وعي عقلاني متوازن ينظر للجوانب الأيجابية للدين وطرق العبادة ومظاهر القداسة والروح الألهية بالإعتماد على ذاته لأكتشافها وتفاعله معها مما يحرر الأنسان من الجوانب السلبية لسلطة الكهنوت الكنسي التي وضعت حواجز كبيرة للعلاقة بينه وبين الخالق"^(١)، ويرى أن الخضوع الدوغمائي والقدي للثقافة الدينية وتحديد كيفية تعاطيه مع الخالق، الغت الذات الروحية للفرد والتي هي إمتداد للروح الألهية وحرمة التفكير والإرادة والأختيار لأكتشاف الذات العليا (لله) بعيداً عن أي تصور إسطوري أو ميتافيزيقي مسبق.

ويشير الترنسندنتيون أن مفتاح الشعور الديني الصادق ينبع من قدرة الأنسان على التفاعل المباشر مع العقيدة الدينية وفق " فناعته الحرة وإداركه أنه يمتلك السيطرة لما يدور حوله وتفسيره بشكل فردي مما يقربه أكثر للخالق ولا يتحقق ذلك إلا إذا أرتبط بمخافة الله بإداء واجباته وتكريس محبته له عبر التواضع بمعاملة الآخرين ويكون قلبه رحيماً وعقله مضيئاً عنده يتمكن بإرادته من الوصول للنظام الألهي العلوي من دون إذعانه لإرادة تشبهه"^(٢)، وهذا يفسر لما أنكر المتعالين الطقوس المسيحية التي ينقلها رجال الدين عن الأناجيل الثلاثة ورسم صورة عن أن مملكة الله هي لحماً وشراباً وفرحاً بالروح القدس بعيد الميلاد، في حين أصل الدين إدراك عظمة حكمة الله والفضائل الإخلاقية والسلام الداخلي والخارجي، لذا

(*) بعد أستقلال الولايات المتحدة الأمريكية أنتشر الفكر والثقافة الترنسندننتية بين فئات إجتماعية وسياسية مختلفة ومؤثرة في حركة النهضة أذاك والمعتقدات الدينية للترنسندننت ومبادئها أصبحت تمثل جوهر أفكار وسلوك أنصارها سواء على المستوى الرسمي أم الشعبي ومن أهم الشخصيات التي رسخت المسار الديني للتفكير المتعالي من الآباء المؤسسين بنجامين فرانكلين والداعية الديني ويليام تشانينج والروائي جيمس فريمان كلارك والشاعر والت ویتمان للمزيد ينظر: Lawrence Buell, op- cit, 124- 127.
(١) ينظر: رالف والدو إيمرسون الحرية والترانسندننتالية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣-٧٥.

(٢)Walter Leatherbee Leighton, op-cit, p104-110.

رفعوا شعار ليس من واجب رجل السياسة وضع "تنظيم شؤون الكنيسة ضمن برنامجه وإنما هي تنظم شؤونها وفق ما يؤمن به أتباعها، وأن واجب السلطة الحاكمة وضع تشريعات قانونية تجعل الدولة تخصص أنفاق الأموال العامة لإنشاء المدارس والجامعات والمكتبات وليس إثراء رجال الدين أو بناء كنائس تابعة للحكومة"^(١)، هذه الطروحات أسهمت بولادة منظور جديد ومختلف للعقيدة الدينية الأمريكية عما سائد بأوروبا حتى وقتنا المعاصر، وعلى الرغم من تعدد وتنوع الديانات والمذاهب والطوائف المسيحية وتقاليدها لكنها تمثل إمتداد لحق حرية الأيمان والإعتقاد للأفراد وممارسة شعائر أي ديانة وفق فهمهم للحقيقية المطلقة والمثبت في التعديل الأول للدستور الأمريكي العام ١٧٨٩.

المسار الأخلاقي - الثقافي: تزامنت حركة نهضة الفكر الأمريكي منذ العام ١٨٧٦ مع إنتشار طروحات الترנסندناليت بين فئات المجتمع، مما ساعد على تحقيق الإصلاح الأخلاقي والثقافي وتميزت تلك المرحلة بإنجذاب عامة الجماهير للقيم الأخلاقية المثالية للتفكير المتعالي، ورغبتهم بتربيته في وعيهم وسلوكهم من أجل التحول للمثال الأعلى الذي يحتذى به أمام الشعوب الأخرى، ووجد أنصار الترנסندنيت أن الإصلاحات تلك تتحقق عبر التركيز على التنقيف الأخلاقي الذاتي ومنه "تنمو الأفكار والأفعال لتنشئ الشخصية المثالية بشكلها الفردي والجمعي وأصولها ومبادئها تعد مرادف للدين والأيمان وبما أن قانون العقل الأنساني هو ما يخلق التوازن بين الإرادة والإدراك للشعور بقدسيته العليا عندها تصبح ميثاق للنظام الإجتماعي وتفكيره لا مجرد شعارات أو كلمات وإنما مصدر للضبط والبناء والنقد"^(٢).

أن مسار الفكر الترנסندنيتي بهذه المرحلة إهتم بتنمية الشخصية المثالية للفرد الأمريكي عبر النهوض بوعيه الإخلاقي لأنها ستنتقله من البربرية للتطور الحضاري وهنا سيترسخ مبدأ الخير المطلق والروح المتوازنة وعقلانية التفكير وتزدهر في عمق ذهن المجتمع وتقوده نحو الإبداع والأرتقاء، وأول خطوة ناجحة كانت بتضمين تلك الأفكار كجزء من "مناهج التعليم المدرسي والجامعي لتنشأة أجيال جديدة بمنظور عقلي خالص لتفسر نظرية المعرفة والأخلاق بشكل مستقل عن الدين ويسمو عليه بأفكار الفضيلة والحرية والحقوق الطبيعية الكاملة مما يعزز الثقة بالنفس والشعور بالانتماء الوطني فيتحقق

^(١)Octavius Brooks, Transcendentalism in New England, a History, Publisher Creative Media Partners, LLC, 2021,p89-90.

^(٢)Joseph Cook, Transcendentalism, Legare Street Press, 2022, p128-132.

الأصلاح الإجتماعي والأستقرار السياسي⁽³⁾ هذه الطروحات أصبحت الأساس الفكري للترنسندنالية وتمثلاتها تجسدت في الفلسفة الأمريكية وتياراتها الفكرية في القرن التاسع عشر، لتكون القوة الدافعة لتطوره والأنسلاخ عن التصورات السابقة، ليدخل المجتمع المدني - السياسي الأمريكي عصره الذهبي في الأنتاج والأنجاز المعرفي والفلسفي والعلمي، أما على المستوى الثقافي للترنسندنالية تمثلت بالحركات الأدبية والثقافية إذ أزدهرت في ظلها بشكل كبير لاسيما أن حركة الشعر والأدب والفنون ركزت على الفلسفة الأخلاقية وفنائها والتحرر من الموروث التاريخي والديني وأرتبطت "بالأفكار المثالية والعظمة والخيال والبطولة وحب الطبيعة وربطها بالتجسيد الالهي وهي بكل ما تتضمنه تمثل الروح والوطن وقدسيتها إمتداد لقدسية الخالق والأقتراب من الطبيعة يقربنا الى الله والأنفصال عنها يعني التخلي عن الوحي الألهي والشعور به مما يجعل الإنسان عاجز للتعبير عن ذاته"⁽¹⁾.

أن المسار الثقافي الترנסدنتي تميز بأنه إصلاحي ويحمل رسائل أخلاقية تناقش قضايا المجتمع بعبقرية سابقة لعصرها^(*)، وركزت على فردية الإنسان وطبيعته الذاتية المستقلة وأهميتها لتمكينه من التحكم بإرادته وخياراته في الحياة والعمل والسياسية، أما الجانب الأخر لهذا المسار أسهم بظهور اللبانات الفكرية الأولى لحركة الحقوق المدنية والسياسية والإقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعد مارغريت فولر^(**) من روادها إذ عملت على زيادة الوعي للإهتمام بها لدورها المؤثر لإستكمال عملية إصلاح المجتمع والحفاظ على السلم والإستقرار، وأبرز القضايا التي ركزت عليها عبر إجتماعاتها الدورية مع التجمعات المحلية في بوسطن من ١٨٣٩-١٨٤٤، للدفاع عن حرية العبيد والغاء الرق وحقوق العمال وحق المرأة في "المساواة مع الرجل والمطالبة بنقوية قدراتها والسماح لها بالمشاركة السياسية وتميزت الإجتماعات النسوية التي

⁽³⁾Octavius Brooks, op- cit, p99-106.

⁽¹⁾Joseph Cook, op- cit, p141-145.

^(*) أن الأعمال الأدبية في القرن التاسع عشر مثل الصوت الجديد والمميز للتعبير عن الأمة الأمريكية لذا نجد أن الكتاب و المؤلفين إهتموا بإنتاج ثقافة تعبر عن واقع المشكلات الإجتماعية والسياسية والإخلاقية السائدة بذلك العصر ونقدها وتحفيز المجتمع عبر الكتابات الأدبية والشعر لإصلاحها لتسمو أفكارهم وثقافتهم لمستوى الترנסدنت الأعلى للمزيد ينظر: روبرت سبلر، الأدب الأمريكي ١٩١٠-١٩٦٠، ترجمة محمود محمود، مؤسسة الهنداوي للنشر والتوزيع، نسخة منقحة، ٢٠٢٢، ص١٢-١٦.

^(**) مارغريت فولر (١٨١٠-١٨٥٠) ناقدة أدبية وصحفية أمريكية وهي أول إمراة تدخل المجال الصحفي والنقد إذ تولت رئاسة تحرير صحيفة الدابل وكانت متخصصة بنشر كل الأفكار والثقافة المرتبطة والمعبرة عن فكر الترנסدنتالي وأسهمت أفكارها في دعم حرية المرأة ويمثل كتابها عن المرأة من أهم الأعمال التي أسست للنسوية في الولايات المتحدة الأمريكية لاحقاً للمزيد ينظر:

Tiffany K. Wayne, Woman Thinking: Feminism and Transcendentalism in Nineteen- Century America, Lexington Books Press, 2005, p33-38.

تقودها بأنها ديمقراطية منفتحة وملهمة وأسهمت بالإرتقاء بالوعي العقلي للنساء و وطورت مهارتهن في الخطاب والمنافسة والجدل والدفاع عن شؤونهن بعيداً عن هيمنة الرجل والمجتمع^(١)، كونت تجمع نسوي متخصص للدفاع عن حقوق المرأة وعلى الرغم من محاولاتها لتحويل أفكارها لتطبيق عملي فاعل، إذ تعد البذرة الأولى لتأسيس ما يعرف اليوم بالحركة النسوية الأمريكية، لكن واقع البيئة الإجتماعية والسياسية آنذاك حال دون ذلك، ونجد أن نتاجاتها الفكرية والإدبية المتعالية أستطاعت فيما بعد تغيير واقع المرأة الأمريكية المعاصرة لتحصل على العديد من حقوقها، أن مسارات بناء الفكر المتعالي أسهم بتطور البنية الفكرية لما بعد الأستقلال، وأستطاع من تحفيز أجيال من الفلاسفة والمفكرين لإنتاج وتجديد وإبتكار نظريات سياسية معاصرة للفكر الإمبريكي، وإستخدمت لتطوير عملية إدارة السلطة والعمل السياسي بما يجعل من الديمقراطية الليبرالية تفاعلية قابلة للتكيف والتغيير مع مستجدات البيئة السياسية والصالح العام للمجتمع.

ثانياً: الترنسندنالية وتأثيرها بإطروحات الفكر السياسي الأمريكي المعاصر

أن فكر الترنسندننت في القرنين الثامن والتاسع عشر مثل أحد أهم أصول الفكر السياسي الأمريكي المعاصر، وتحول من حركة دينية- شعبية لمصدر مؤثر بمجالات عدة منها الفلسفة والأدب والدين والشعر وحتى الثقافة الإخلاقية، وعلى الرغم من قوة تأثيره لكن المتغيرات السياسية والإجتماعية والأقتصادية بفعل الثورة الصناعية بالقرن العشرين، أدت لظهور إتجاهات مختلفة بالبيئة الفلسفية والفكرية تدعو لتغيير بنية التفكير العقلي وتجديده لتتواءم مع عصر الحداثة، أن حركة التغيير الفكري والفلسفي الجديدة القائمة على تحليلات الوعي العقلي للوصول نحو الحقائق والمعارف، وإستمدت طروحاتها الفكرية من التفكير المتعالي إذ شكل بيئة خصبة لولادة وتفسير العديد من الظواهر الفلسفية والسياسية ويمكن أن نحدد مدى قدرة تأثير الفكر الترنسندننتي على الفكر السياسي الأمريكي المعاصر بالآتي:

١- إسهامات الفكر المتعالي في تطور بنية النظرية السياسية المعاصرة

أن الترنسندننتالية وأفكارها الأبداعية الفلسفية المليئة بالمثالية وروحانية الوعظ الأخلاقي والديني كجزء من سمو تفكيرها المتعالي، لم تعد تتواءم مع متطلبات الواقع الجديد للقرن العشرين الذي يبغى الوصول للحقائق بنتائج أسرع وأكثر واقعية، والحياة المادية للإنسان والنتيجة عن التقدم العلمي والصناعي

(١)Tiffany K. Wayne, op- cit, p55-61.

والتكنولوجي أعادت تعريف علاقته بالبيئة المحيطة به على مختلف المستويات، وهذا لايعني أن الفكر المتعالي قد تلاشى دوره أو ضعف تأثيره الفكري وإنما ظل مصدر إلهام لظهور نظريات سياسية وأفكار فلسفية أسهمت بحركة تطور بنيته الفكرية، وقادت مخرجاته الفكر السياسي الأمريكي المعاصر لآفاق أوسع ولها "هوية خاصة ومميزة بعد أن كانت مستقبلة ومتأثرة بالفكر الأوروبي، وأتسمت الكثير من إتجاهاتها الفكرية بالأصالة والريادة ومتفوقة على غيرها بالتطبيق والفعل والتأثير وحاضرة في الصفوف الأولى لبيئة الفلسفة العالمية، ولهذا أطلق على تلك المرحلة بالعصر الذهبي والذي إمتد من عام ١٨٨٥-١٩٤٥"^(١).

ومن بين تلك النظريات السياسية المتعددة سيتم التركيز على نماذج مختارة كان وقع تأثيرها واضحاً في الحركة الفلسفية والعمل السياسي والتنظيم الإجتماعي بالولايات المتحدة الأمريكية لعصر الحداثة ومابعد الحداثة^(*) وهي:

أ- الذرائعية: وتسمى (البراغماتية)^(**) وهي أحد المخرجات الفعلية لتأثيرات الفكر الترندنتي ودوره في تطور إتجاهاتها الفكرية، المعارضة للإتجاهات التقليدية في تفسيرها للظواهر المحيطة بالمجتمع ورفضها لنتائجها، والذرائعيون يجدون أن "المبادئ الأنسانية والتفكير العقلي الواعي يمثلان الحقيقة المعرفية بدقة لأنها نتاج للتفاعل بين الكائن الحي وبيئته وهنا يصبح الفكر أداة للتنبؤ والتحليل والتنفيذ ووضع حل للمشكلات التي ترافق واقعه"^(١)، هذه الرؤية الفكرية وجدت أن الأفكار تقاس بنتائجها العملية المحققة

^(١)Octavius Brooks, op- cit, p124-127.

^(*)عصر الحداثة وتسمى بالعصرنة (١٤٣٦-١٩٣٩) وبدايتها في مجال الأدب والفنون ثم أنتقلت للمجال الفكري والثقافي والتاريخي وهي ترتبط بتطورالممكنة الصناعية، وتتسم بالعقلانية المستنيرة والحرية الفردية وتركز على ان الإنسان متفرد في تفكيره وخياراته وسلوكه أما ما بعد الحداثة ظهرت من(١٩٤٥-١٩٩٥) وفي عهدها ظهرت نظريات سياسية مؤثرة على حركة الفكر السياسي الأمريكي المعاصر مثل التشكيك والتقويض والعدمية والتفكيكية للمزيد ينظر عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر للنشر، دمشق، ط٤، ٢٠١٦، ص١٦-١٩.

^(**)البراغماتية إتجاه للتفكير الفلسفي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية العام ١٨٧٠ ويمثل إمتداد فكري لطروحات الفكر المتعالي وطور هذه الفلسفة كل من المفكرين وليم جيمس وتشارلز بيرس وجون ديوي التي ترى أن الفكر هو نتاج للتفاعل بين الإنسان والطبيعة وأثرت أفكارها على إنتاج نظريات أخرى مثل نظرية التفاعل الرمزي والتأثير المباشر والمعتدل للمزيد ينظر: =

=Cris Voparil, Reconstructing Pragmatism, Publisher Oup USA, 2022,p55-60.

^(١)Cris Voparil, op- cit, p88-90.

وللمزيد ينظر: تشارلز موريس، رواد الفلسفة البراغماتية، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠١١، ص٢٥-٢٨.

لأهدافها على أرض الواقع وليس عبر التنظير لها وأنتظار نتائج تجريبها، لتتحول الذرائعية من أولى الاتجاهات الفكرية الراضية لما يسمى بالحقائق الثابتة أو المطلقة، وترى أن الفكرة التي تثبت صحتها عملياً هي الناجحة والنافعة وتعد المعيار الفعلي للحقيقة، ونجد أن البراغماتية تقوم على ثلاث مرتكزات رئيسية وهي كالاتي:

الأولى وضعها المفكر تشارلز بيرس وتقوم على الشك - الأعتقاد والقيم الإنسانية وتتلخص بأن وظيفة التفكير العقلي "لتخليص الإنسان من الشك وتزويده بعقيدة راسخة مرتبطه بإدراكه الواعي لينظر للقضايا الإنسانية ومبادئها وقيمها الأخلاقية بمنظور ما تستطيع تحقيقه من منافع له ولآخرين وتضمن للجميع نتائج ناجحة ومضمونة عندها تتحقق أهدافهم على أختلاف منفعتها لكل فرد منهم"^(٢)، وطبقاً لرأيه لا يوجد نجاح أو قيمة لأي فكرة إلا اذ حققت غايتها ونتجت عنها منفعة ملموسة ويتم الوصول لها عندما يمتلك إستعداداً عقلياً واعي يمكنه من النجاح عند تطبيقها.

الثانية وضعها المفكر وليم جيمس وتقوم على الذاتية الفردية والإرادة الحرة وعدت المنطلق الفكري الراض لفكرة الواحدية المثالية الهيجلية التي تقوض التفكير الخلاق للإنسان^(*)، وبما أن الذات الفردية هي أساس بناء وتنظيم الشخصية وإدراكها العقلي والحسي للدين والأخلاق والحرية والتفاعل معها سواء بذاته الخاصة أو مع الذوات المجتمعية، فأن الإدراك والتفاعل لايتحقق إلا بوجود إرادة حرة مستقلة تمنحه حق الاختيار والإعتقاد والأيمان بما هو مقدس أو فطري أو روعي ليصل لمستوى الأرتقاء العقلي ويتأكد أن العالم وما يتضمنه من حقائق "بالأصل من صنع عقل الإنسان وقدراته للتعامل والتكيف معها لتصبح الحقيقة لديه متعالية وتتجاوز قيمتها أي حاجز يقف امام إرادة الذات الفردية التي تمتلك كل المؤهلات لتساعده على تأدية الأفعال والممارسات العملية لحياته المستقبلية وفق إرادته الحرة فقط"^(١)، والمنظور البراغماتي لجيمس عن تلك الذات وإرادتها قسمها لثلاثة أنواع هي "الروحية والمادية والإجتماعية أما

^(٢)Mihaela Kelemen, Nick Rumens, American Pragmatism and Organization, Publisher Routledge, 2016, p128-132.

^(*) أن فكرة الواحدية المثالية تمثل الرؤية الفكرية للفيلسوف الألماني هيغل الذي وجد ان الكون والوهية الله واحدة ومترابطة سوياً، وعلى الرغم من أملاك ميزة أساسية للأنسان تتمثل بالوعي الذاتي لكنه لايمكن إدراكها الى بالسموالتقائي بعلاقته بالخالق عبروصوله لمرتبة التفكير والإدراك المطلق وفهم الوجود لايتم الا بشمولية مطلقة لايتسطيع كل أنسان الوصول لها للمزيد ينظر: Ibid, p142-146.

^(١) ينظر: تشارلز موريس، رواد الفلسفة البراغماتية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢-٥٧.

وظائفها تتمثل بالسعي المستمر للتكامل والتميز عن الآخرين في عمليات التفاعل وإكتساب الخبرة وبما يتناسب مع تطورات الحياة لأن مسارها غير جامد وإنما دائم الحركة والتطور وهو ما يسمح لها بالتكيف المرن لكل تغير يحدث من حولها"^(٢)، أما الثالثة وضعها المفكر جون ديوي وتقوم على العقلانية الأدواتية والسيولوجية وركزت على قضايا إصلاح المجتمع عبر الأرتقاء بتربيته وثقافته وسلوكه الفردي والجمعي، ونجد أن طروحاته الفكرية سعت "لإستخدام وتوظيف الفلسفة العلمية وعدّ مخرجاتها الأساس التشريعي لبناء مجتمع ديمقراطي يمتلك رؤية عقلانية وله القدرة ليوازن بين القيم الفردية والجماعية والمجتمعية بمرونة عالية ويحولها لنظام إجتماعي منضبط يواكب المتغيرات الحاصلة في الحياة بإستمرار"^(٣)، ويرى ديوي أن الديمقراطية أسلوب حياة وتنظيم للعمل الإداري والقانوني والسياسي وليست مجردة وسيلة لتداول السلطة والمشاركة السياسية، وهي تقوم على الحرية والتعاون الجماعي والمسؤولية المشتركة، والوصول لذلك يتطلب وجود نمط من التفكير العقلاني يكفل إقامة مجتمع وفق ذلك الأسلوب.

وهذا يستلزم إمتلاك مقومات عقلية عالية الوعي والإدراك لتحليل وإحتواء كل ما يعيق الحفاظ عليه، ولايوجد أفضل من التفكير البراغماتي الذي سيدرك مبكراً أصل ونوع مشاكله ويسعى لإيجاد الحلول لها بأي وسيلة ممكنة من دون النظر لمدى شرعيتها أو غايتها الأخلاقية أو حجم فوائدها وأضرارها طالما أنها تثبت جداراتها في تحقيق الغاية، هنا تتجسد العقلانية الأدواتية لرؤيته الفكرية عبر التعامل مع نظرية المعرفة والمبادئ والقيم الأخلاقية والدينية وأفكارها "بالتجربة وما يصدر منها منفعة متكاملة بعد سلسلة من التجارب والأخطاء بالتحليل العقلي وعندما تنجح يتم تعميمها وهنا يتحقق الأنفتاح الأكبر للتفكير الطبيعي للإنسان بلا قيود أو محددات ويصبح العقل ومنطقه وأفكاره أحد الأدوات المنتجة لأكتساب الخبرة والعلم والقدرة على الإنتاج الدائم"^(١)، وبذلك تصبح عملية أستحداث النظريات والأفكار وتجديدها وفق التفكير العقلي - العملي أداة في متناول الإنسان وخدمته من غير تقييده أو تحديده، لأن كل الأفكار المرتبطة بنظرية المعرفة تولد بالأصل من التفكير العقلاني والخبرة والنشاط الذاتي للفرد.

٢ - الواقعية النقدية الجديدة: أن البيئة السياسية والإجتماعية الأمريكية في بداية القرن العشرين وما بعد الحرب العالمية الثانية، كانت مهينة لظهور هذه النظرية التي سعت لتحرير المعرفة من الفكر الميتافيزيقي

(٢) Mihaela Kelemen, Nick Rumens, op- cit, p166-168.

(٣) ينظر: تشارلز موريس، رواد الفلسفة البراغماتية، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٦-١٢٨.

(١) Cris Voparil, op- cit, p133-135.

والمثالية التقليدية ورفضت فكرة وضع الوعي العقلي ومدركاته بشكل عمودي وأنه مطلق التفسير وثابت النص لا يتغير وأن دور الإنسان في تفاعله مع المعرفة يقتصر على الأقتباس منها بلا تحليل أو نقد، في حين الواقعية النقدية الجديدة تضعه أفقياً وتخضع كل ما يحيط به للتحليل والنقد العقلي بمعنى أن للعقل وتفكيره دور مهم في التفاعل والتماهي مع المعرفة وإتجاهاتها، وهذه النظرية وضع أسسها الفيلسوف ويلفريد سيلارز وأسهمت طروحاته الفكرية^(*) في إحداث تغيرات جذرية في عملية التفكير بالفلسفة الأمريكية وطبيعة نتائجها التي أثرت بالفكر الأمريكي المعاصر بالقرن الواحد والعشرين وطبقاً لمنظوره الفكري فأنها تمثل "عالم الواقع الذي يشمل كل الحقائق فالمعرفة لديه هو ما نحصل عليه عبر حواسنا ومدركاتنا العقلية ونظرتنا للمجتمع تتجسد بكونه ينشأ وينظم وفق قوانين الطبيعة وكلما تماهى معها كلما نجح واستقر اما رؤيته للقيم الأخلاقية فأنها تخضع للتحليل النقدي لتكشف مدى قوة ثباتها وتأثيرها على الذات الأنسانية^(١).

ونجد أن الإتجاهات الفكرية لهذه النظرية بعد سيلارز تطورت ووضعت العقل في أعلى قمة التفكير والإدراك ليسيطر على الوجود المادي للأشياء ويتحكم بعلاقته مع بيئته سواء الطبيعية أو الإجتماعية، مما قاد لتطور الفلسفة والعلوم والتقانة التكنولوجية والرقمية نتيجة لرفع كل القيود عن التفكير العقلاني وترك الماضي والتطلع للمستقبل، ويتجه نحو مجالات مادية متعددة للانفتاح على العالم الواقعي بلا شروط ومن هنا بدأ ما عرف بالتأقلم مع الجوانب المادية والأنسلاخ تدريجياً عن الجوانب الروحية، لتتحدد علاقة الفرد بقيمه الروحية والدينية وتصبح ذاته المدركة للأيمان تمثل الأقتراب من الحقائق والواقع الملموس لا المحسوس بدافع الوحي الديني، لأنها صنعت "موقفاً معرفياً متوازناً بإقرارها بواقعية الأشياء المادية وغير المادية ومعرفتها من دون أن تكون للمعرفة دور في إدراكها لأن الذات الفردية تدركها نتيجة تفاعلها مع العالم الواقعي والتفكير العقلي هو حلقة الوصل بين الذات وبيئتها وتمنح الإنسان الوصول لذروة الخير الأسمى أما الشر سيكون العائق لإدراكها لأنه يضعف قدرة العقل للتحليل ويلغي الرابطة بين الذات

^(*) ويلفريد سيلارز (١٩١٢-١٩٨٩) فيلسوف أمريكي ومن أهم رواد النظرية الواقعية النقدية الجديدة ومن أشد المدافعين عن الواقعية العلمية وقدرتها على تفسير نظرية المعرفة والظواهر المحيطة ببيئة الإنسان وأفكاره أسهمت بتطوير حركة الفكر السياسي المعاصر لاسيما ما يتعلق بقدرة الإنسان على ضبط سلوكه وتحكمه بإرادة الواعية العقلانية ودورها في تحديد أنطباعاته الحسية ومفاهيمه العقلية للمزيد ينظر :

Peter Olen, Wilfrid Sellars and The Foundations of Normativity, Publisher Palgrave Macmillan London, 2016, p88-90.

^(١) ينظر: أحمد عبد الحلیم عطية، القيم الواقعية الجديدة، النور للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص ٥٧-٦٢.

وواقعية الأشياء"^(٢)، ويصف سيلارز النظرية بأنها الأسمى وتتفوق على النظريات الأخرى لكونها تضع نسقاً فكرياً متوازناً بين الأبعاد الفكرية للعقلانية والتجريبية والواقعية والتحليلية لتقريب الروابط بين نظرية المعرفة وذاتية العقل المدرك للواقع، ويجد أن مجموعة السمات والخصائص التي تتمتع بها تلك النظرية ساهمت بنجاح خطط تنشأة وتنقيف الوعي العقلي للمجتمع الأمريكي.

وتتحقق عملية إصلاحه عبر تحريره من قيود الموروث التقليدي الديني السابق، ويكون "الأعتناء بذاته روحياً بعيداً عن السيطرة على تفكيره وسلوكه وإنتمائه للدين وتقديم تفسير جاهز لفكرة المقدس والأيمان والأعتقاد وحرمانه من حريته إدراكها وفق منظوره العقلي ومتى ما شعر بحرية ذاته الروحية سينمو بشكل صحيح وابتعد بإرادته عن ارتكاب الخطايا بمختلف أشكالها"^(٣)، أما مسألة الوصول لحالة النضج الإجتماعي وعقلانية وعيه وإدراكه تتم عندما يتحقق الأنسجام المتكامل بين الذات الفردية والطبيعة بعد إصلاحها مادياً بالأعتناء بميوله وحاجاته الخاصة في العالم الواقعي، ومنحها الفرص لتصبح فاعلة ومؤثرة في مجتمعها وقادرة على إتخاذ القرارات والخيارات الحرة بنفسه بلا شروط أو قيود، وكلما عادت بالنفع عليه أسست له حياة ناجحة لتعكس نتائجها على الآخرين وهنا يصبح النضج والإصلاح للمجتمع أمر واقعي وملمس.

٣- **الجماعانية:** وتسمى بالنظرية المجتمعية وتعود جذور نشأتها لأواسط القرن التاسع عشر في بريطانيا^(*)، وبرزت طروحاتها السياسية والإجتماعية كرد فعل لطبقة العمال في المجتمع الأوروبي ضد الأفكار الليبرالية التقليدية التي تقدر الفردية المطلقة وتكرس الطبقية والتمايز الإجتماعي، أما في الولايات المتحدة الأمريكية ظهرت في النصف الثاني للقرن العشرين وتزامنت مع المتغيرات البيئية السياسية والإجتماعية لما بعد الحداثة، وأفكارها أنتقدت الجمود الفكري الذي "أصاب الليبرالية لعجزها عن إدراك وإحتواء التنوع الجماعي وحقوقهم وبقاء تركيزها على الفردية الذاتية المطلقة لذا سعت النظرية لتجديد

(٢) Peter Olen, op- cit, 110-113.

(٣) ينظر: أحمد عبد الحليم عطية، القيم الواقعية الجديدة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٧-١٤٩.

(*) يعد من المذاهب الفكرية للتكاتف الإجتماعي وأول من نشر جوهر فكرته جون جودين بارمبي ووليم لوفيت العام ١٨٤١ عندما ظهر ما عرف بالحركة التشارتية بأنكلترا للمطالبة بحقوق العمال ومساواة أجورهم وساعات عملهم وفي منتصف ثمانينيات القرن العشرين ظهرت بالولايات المتحدة الأمريكية لتؤكد على أهمية ودور الهوية الأجتماعية لاستقرار المجتمع وهي تقف بالصد من الفردية المتطرفة والمطلقة للمزيد ينظر:

Katrina Forrester, In The Shadow of Justice, Princeton University Press, 2019 p24-28.

وإعادة صياغة الفكر الليبرالي عبر التخفيف من سطوة الفردية والعقلانية المادية وتشجيع أخلاقيات المسؤولية الجماعية^(١)، وترى أنها ستحقق وتحافظ على الأنسجام الداخلي للمجتمع الأمريكي الذي يتميز بالتعدد والتنوع، وبما أن توجهاتهم وأهدافهم وغاياتهم لا تسري على نسق واحد وبعضها مختلف أو متضارب عن الآخر، تصبح قيمة الفردية المطلقة لا تتناسب مع وضعهم بالتنظيم والاستقلالية والأخيرة تمثل القاعدة الأخلاقية لنظامهم الاجتماعي.

و"مبدأ الأخلاق هو الفكرة الأساسية للتغلب على التعارض بين حق الفرد والجماعة ومن ضمن الواجب والمسؤولية المشتركة لكلاهما، والفردية تجعل الشخص يشعر بالاستقلالية والحرية لتحقيق ذاته لكنها لن تصل لمرحلة الاستقلالية التأسيسية لأنها أحادية التوجه والمضمون بينما الجماعية تستوفي شروطها لأنها تمثل نظام قيمي للمجتمع التعددي بأكمله"^(١)، وأهتم رواد الفكر الجماعي بالتركيز على جوهر الخير المتأصل بالعقل المجتمعي وتمثل النتائج الطبيعية لكل الإرادات الفردية الخيرة، وأصل الفكرة يرجع " للتفكير الترנסدنتي إذ أكد أن الإرادة الذاتية المستقلة للفرد والجماعة تقود لتحقيق السعادة ولا يتم الشعور بها والتمتع بمضمونها إلا عبر تكوين رابط قوي ما بين المنطق العقلي وتفكيره وبين الجوهر الروحي للخير الأسمى بنفوس البشر لينتج ترابط شامل بين الفرد والمجتمع في الأهداف والمصالح من دون تعارض"^(٢) ومعنى ذلك ان التفكير الجماعي يمثل الرؤية المعاصرة للأفكار الترנסندنالية وأحد أدواته لنشر مفاهيم وثقافة التعدد والتنوع الاجتماعي الذي تميز به الشعب الأمريكي وتطوير عملية إدارته ليتوافق مع مستجدات العصر في النصف الثاني للقرن العشرين، وتعد أفكار جون راولز^(*) من أبرز الطروحات التي سعت للتوفيق بين الحق الفردي والجماعية من منظور نظرية الأخلاق والعدالة لإقامة تنظيم اجتماعي وسياسي يعمل على ترتيب الحقوق والواجبات على أساس المنافع الاجتماعية والإقتصادية ووضع ثلاثة مرتكزات لضبط تنفيذها وتوزيعها وهي^(٣):

(١) Rudolf Stammler, The Theory of Justice, Law & Justice Press, 2022, p141-145.

(٢) Katrina Forrester, op- cit, p69-73

(٣) ينظر ستيفن سيدمان، معرفة متنازع عليها النظرية الاجتماعية في أيامنا، ترجمة مرسى الطحاوي، المركز العربي للأبحاث والدراسات، قطر، ٢٠٢١، ص ٢٠٤-٢٠٩.

(*) جون راولز (١٩٢١-٢٠٠٢) فيلسوف سياسي أمريكي ومتخصص بالفلسفة التحليلية أسهم بتطوير اتجاهات الفكر السياسي الأمريكي المعاصر لما بعد الحداثة خاصة ما يتعلق بنظرية الأخلاق والعدالة وتقويم الليبرالية السياسية للمزيد ينظر:

Rudolf Stammler, op- cit, p152-153.

(٣) Katrina Forrester, op- cit, p87-91

أ- الحرية الطبيعية: لكل فرد حق متساو للحريات المدنية والسياسية وبذات الوقت تكون متساوية ومتوافقة مع الحريات الجماعية ليتحقق ما يعرف مبدأ الحرية المتساوية الكاملة.

ب- المساواة الليبرالية: تنص على أن يحصل الجميع على الحقوق نفسها طالما يقومون بنفس الواجبات، والنظام الليبرالي يعد نسقاً لتأسيس وتنظيم المساواة لذا عليه التعامل مع الكل على إختلاف تنوعه وتعدده على قدم المساواة، وبما يتفق مع مبدأ التوفير العادل وتكافؤ الفرص المنصفة التي تمثل الخيار المنطقي للعقلاء والأحرار.

ت- تعظيم حالة الرفاه: أن تحسن المستوى المعيشي وأرتفاع النمو الأقتصادي بالمجتمع سيحقق مبدأ النفعية الأكبر ليحصد كل واحد مصلحته وغايته بالحياة والعمل وفق نظام توزيعها بعدالة لينتج عنه أكبر قدر من السعادة لأعلى نسبة من البشر.

وأفكار روالز تعد رد فعل ضد التوجهات الليبرالية التي ظهرت في عهد الرئيسين نيكسون وريغان وأيضا ضد الفكر الليبرتاري وأيديولوجيته السياسية، وكلاهما وضعا حقوق ومصالح الذات الفردية لتتفوق على الذات الجماعية، مما حول إدارة السلطة وتنظيم عقدها الإجتماعي ليدعم مصالح الأقلية السياسية والأقتصادية ويضحي بحقوق ومصالح الأغلبية، وإطروحاته سعت لتصحيح مسارها بوضعه لمنافذ فكرية توازن ما بين مسؤولية الفرد والمجتمع عبر جعل قيمة الفرد تساوي قيمة المجتمع وبشكل يضمن مصالح الكل ورفاهيته، وهذه الرؤية أكدها مايكل ساندل^(*) وأشار أن عملية إستمرار حالة التوازن تلك ستؤدي لأنشاء "مجتمع عادل يوزع الثروات والحقوق والواجبات بحسب قدرة ومجهود كل فرد فيه ومن منطلق الفضائل الأخلاقية ستصبح قيم العدالة لديه جزء لايتجزأ منها وقاعدة أساسية لتنظيم قراراته السياسية وإدارة شؤون أفرادها بما يخدم غاياتهم ويحترم معتقداتهم ليعم الأستقرار والأمن الدائم في ظل الدولة العادلة"^(١)، وبحسب هذه المعطيات نرى أن التفكير الجماعاني يدمج بين العدالة والأخلاق والحرية بنسق متناغم ومنسجم، ويشيرون أن مبادئ العدالة والحرية تستمد قوتها من الفضائل الأخلاقية المترسخة

وللمزيد ينظر: ستيفن سيدمان، معرفة متنازع عليها النظرية الإجتماعية في أيامنا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٣-٢٢٦.
مايكل ساندل (١٩٥٣) فيلسوف أمريكي وأستاذ جامعي بجامعة هارفارد ويمثل أحد التوجهات المعاصرة للجماعانية وطروحاته الفكرية ركزت على الأختلافات المجتمعية الناتجة عن التغيير الأقتصادي لسوق العمل الحر وغياب عدالة التوزيع وضعف الأستحقاق الأقتصادي بنكافؤ الفرص في العمل والحياة وحتى المشاركة السياسية للمزيد ينظر

Michael J. Sandel, The Tyranny of Merit, Publisher penguin, 2021, p33-37.

^(١)Ibid, p61-64.

بالعقل الجمعي، وتحرير التفكير الأخلاقي من الرغبات والشهوات والمصالح الفردية وتحويل قيمتها منتظماً للضبط والواجب والمسؤولية المشتركة بين الجميع، ستجعل من العدالة أولوية وقيمة عليا مقدسة كما الحرية وهنا يتحقق جوهر الخير وإيجابياته لخدمة الصالح العام.

٢- توظيف مخرجات التفكير الترנסندنتي لتعزيز فاعلية العمل السياسي

بدأت البنية الفكرية والإجتماعية الأمريكية تسعى نحو تحقيق سلسلة من العمليات الإصلاحية لتطوير العمل والممارسة السياسية، وأيضاً تعزيز إستدامة الديمقراطية الليبرالية ومنطقاتها الفكرية والمؤسسية، وإعتمدت على توظيف التفكير الترנסندنتي لمخرجات النظريات السياسية المعاصرة كأحد الآليات لتحفيز وإستجابة البيئة المجتمعية لضمان نجاحها، لاسيما بعد تحول نتائج حركة الحقوق المدنية^(*) لأمر واقع عبر التفاعل مع الهويات الفرعية والأثنية والعرقية والثقافية للمجتمع بشكل طبيعي، وعدّها إمتداد للهوية الوطنية والقومية الجامعة للمشاركات الفكرية للديمقراطية الليبرالية التي يؤمنون بها وتمثل أسلوب لتفاعلهم وسلوكهم الإجتماعي والسياسي لتتغير "أيديولوجية الأنصهار الإجبارية التي سادت سابقاً وأجبرت الأثنيات والأعراق الأخرى للتخلي عن هويتها وثقافتها لتندمج مع العرق الأبيض وتحل محلها أيديولوجية الأستيعاب لتمثل قيمة الإختلاف حيزاً وصوتاً مهم ومؤثر في حياة المجتمع والممارسة السياسية"^(١)، وميزة التعدد المجتمعي وتنوعه وظفته ادارة السلطة لزيادة تقدمها في المجالات الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية وحتى الثقافية، ووجدته مفتاح لإزدهار الدولة بشكل مستدام في القرن الواحد العشرين عبر جذب " المواهب والمهارات والقدرات الأصلية والتميزة ومنحها فرص متساوية للمشاركة بفاعلية في مختلف مجالات الحياة وترى أن استثمار حالة الأختلاف والتنوع وإحتوائها في مركز وجسد واحد سيسمح بتحويل كل نتائجهم لقوة فاعلة تدعم حركة التقدم وخطته الإستراتيجية المستقبلية"^(١).

(*) بدأت مظاهرها الفعلية تأخذ صداها في ستينيات القرن العشرين عندما طالب الأفارقة عبر الأحتجاجات السلمية بالحصول على حقوقهم المدنية والسياسية وتحقيق المساواة لهم، وهذه الحركة إستمرت لعقود طويلة على شكل موجات إحتجاجية تدعو لأنصافهم ومنحهم حقوقهم المعطلة ولم تكن مقتصرة على السود وإنما شملت أعراق وأثنيات أخرى مثل اللاتينيين والأسويين والمسلمين والنساء وغيرهم وجميعهم رفعوا شعار اللاعنف ضد العنصرية والتمهيش والتمييز أمام السلطة الحاكمة للمزيد ينظر: هوارد زن، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة شعبان مكاوي، المركز الوطني للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٨٨-٩١.

(١) Elinor J. Pierce, Jon M. Sweeney, Pluralism in Practice, Publisher Orbis Books, 2023, p34-37.

(١) ينظر: هوارد زن، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية، مصدر سبق ذكره ص ١٠٦-١٠٩.

هذه الرؤية قادت لخلق وحدة ترابط ما بين المختلفين على مستوى الخطاب والسلوك السياسي للفاعلين في إدارة السلطة، وإعتمدها ضمن الخطط والبرامج الإصلاحية للعمل السياسي، وهذا يفسر لنا كيف أن الانتخابات المحلية والتشريعية منذ أواخر القرن الماضي برزت فيها شخصيات وقيادات حزبية وعسكرية وإدارية وتشريعية من أصول غير الأنكلو-سكسونية، ودورهم المؤثر عزز قوة الترابط المجتمعي المستند على جوهر التفكير الديمقراطي الليبرالي كأسلوب للحياة، وهذه النخب الجديدة والفاعلة أستطاعت من نقل تقاليدها وثقافتها لتصبح أحد أركان المنظومة الثقافية الوطنية وأهم مسارات تطوير الأمة الأمريكية المعاصرة، عبر إنشاء شبكات من الترابط الفكري والثقافي المرن والمتوازن في تعاملهم وتفاعلهم مع بعض بعيداً عن التمييز أو العنصرية أو التهميش، والأهتمام بتطوير هذه الميزة إجتماعيا وسياسيا يدخل ضمن مجال إستثمار رأس المال الإجتماعي المعاصر^(*) لتجديد بنية المجتمع المدني - السياسي كونه الدرع الحامي للديمقراطية الليبرالية من العجز أو الجمود ومن دون ذلك المجتمع لا وجود لها وستعرض للانهايار، ما دفع الفاعلين السياسيين "بإعادة تنظيم المجتمع من منطلق مبدأ الخيار العقلاني والمساواة والعدالة التبادلية وتعددية الرأي وإرادة الأغلبية في صنع القرارات لضمان بقاء الخطاب الحر في البيئة الديمقراطية ليعبر المواطنين عن خياراتهم وفرصهم ومطالبهم المشروعة أمام من يتولى زمام المسؤولية السياسية للدولة"^(٢).

ويمكن أن نحدد أهم آليات تطوير فاعلية العمل السياسي بالآتي:

أ- إعتاد الديمقراطية التفاعلية^(*): هذا النهج سيعزز من عملية إصلاح العمل والممارسة السياسية لاسيما بعد تعرض المجتمع الأمريكي لسلسلة من الأزمات الاقتصادية وضعف المساواتية الليبرالية والعدالة التوزيعية، مما جعل من البيئة "الديمقراطية الليبرالية تتجه نحو الأنغلاق على نفسها وتصبح فاشلة في

(*) رأس المال الاجتماعي يمثل القدرة أو الآلية التي تنشئ الثقة في المجتمع وتساهم في أنتشارها سواء بشكل جزئي أو كلي ويمكن أن يتجسد في مستويات مختلفة مثل الثقافة أو الدين أو الاقتصاد ويشكل أحد ركائز المجتمع الأمريكي لأنه يوازن ما بين النزعة الفردية والروح الجماعية للمزيد ينظر: أسعاف محمد، رأس المال الاجتماعي مقارنة تنموية، مجلة دمشق، المجلد ٣١، العدد ٣، لسنة ٢٠١٥، ص ١٤٢-١٤٦.

(٢) ينظر: أسعاف محمد، رأس المال الاجتماعي مقارنة تنموية، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٣-١٥٨.

(*) وتمثل أحد الأنماط المتطورة للديمقراطية الليبرالية وهي تعتمد على التفاعل المباشر بهدف خلق إرادة مجتمعية تعمل من أجل تكوين المجتمع والدولة العادلة كما ان هذا النوع من الديمقراطية له القدرة على الإصلاح بشكل أكبر للأنظمة الحكومية المحلية والوطنية التي تخدم مخرجاتها الصالح العام للمزيد ينظر:

Carol C. Gould, Interactive Democracy, University of New York, 2014, p11-15.

نظر مجتمعها، وأن قيمها ومبادئها تحولت لمجرد شعارات وأن من يتحكم بإدارتها مجموعة من النخب الاقتصادية العملاقة التي تتحكم بصنع وإتخاذ القرار السياسي الضامن لمصالحها على حساب المصلحة العامة^(١)، هذه الأجواء سادت في عهدي الرئيس بوش الأب والأبن مما جعل من مخرجات إدراتهم تقوض الديمقراطية وتحدد اتجاهها نحو ضمان مصالح إرادة الأقلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأصبح الأغلبية ينظرون نحو العملية السياسية وإدارة الحكم والمؤسسات والانتخابات بعدم الثقة والرضا.

مما هدد مكانة البيئة الديمقراطية لآتساع الفجوة بين تنظيراتها الفكرية ومخرجاتها السياسية والأخيرة لاتمثل منها شي حقيقي، من هنا بدأت الأصوات تلعو بضرورة إعتما د منهج الديمقراطية التفاعلية من أجل تقليص الفجوة بين "الإدارة السياسية ومؤسساتها والرأي العام الأمريكي وأيضاً إرجاع الثقة والشرعية للديمقراطية الليبرالية عبر إستعادة الرضا من قبل العقل الذاتي والجماعتي وتمكينه ليصبح فاعل ومؤثر يتسطيع إحداث متغيرات قانونية وسياسية وإقتصادية مشتركة ونافعة للجميع"^(٢)، ونجد أن مظاهر هذا النوع من الديمقراطية تحقق عندما أنتخب الرئيس الأمريكي أوباما وفي عهده تمكنت إدارته، من تطبيقها على المستوى الرسمي والشعبي إذ أصبح المواطن عضواً في النظام وإدارة الحكم من خلال إعتما د خياراته العقلانية وفق مبدأ المشاركة والمسؤولية الجماعية لإدارة شؤون حياته.

ب- الحقوق السياسية التشاركية: وتمثل أعلى مستوى للتمتع بالمواطنة الكاملة وطبقاً لها "يملك المواطنين الحق الكامل بإختيار من ينوب عنهم لصياغة العقد الإجتماعي - السياسي ولهم القدرة الفاعلة للمشاركة في صنع وإتخاذ القرار وبما يتناسب مع مصالحهم ومتطلباتهم وبإمكانهم إحداث أي تغيير قانوني أو سياسي طالما يخالف أو يعترض الحقوق والمصالح العامة"^(٣)، وعد هذا الأجراء من أهم خطوات إصلاح وتطوير العمل السياسي لكونه يتماهي مع مبدأ الحريات الأساسية للمساواة الليبرالية التي تؤمن أن المواطنين هم أحرار ومتساويين في إختياراتهم ومنها السياسية، وتطبيق هذا النوع من الحقوق يستند لمبدأ الفرص المتساوية للمشاركة وممارسة العمل السياسي سواء عبر الترشح أو الأنتخاب أو الأنتماء للحزب الذي يمثل مصالحه الخاصة والعامة للجماعة التي ينتمي إليها، وطبقاً لراولز فكلاً

(١)Robert W. Maloy, Building Democracy for All: Interactive of Government and Civic Life, Publisher Edtech Books, 2020, p69-74.

(٢)Carol C. Gould, op- cit, 38-42.

(٣)Robert W. Maloy, op-cit,84-86

المبدئين ليس غريبين عن منظور الثقافة السياسية العامة في المجتمع الديمقراطي الليبرالي الأمريكي، لكن تم تعطيل العمل به لسنوات بسبب حصر هذه الحقوق لفئات مجتمعية محددة من العرق الأبيض والموالين لهم لخدمة مصالحهم وإحتكار مخرجات العمل السياسي للوصول لأهدافهم.

أما في الوقت الحاضر تم إعادة ضبط وتنظيم هذه الحقوق عبر منحهم مساحة بموجب القانون بأن لهم "لحق للمشاركة في صنع القرار الجماعي فيما يتعلق بالسياسة العامة للدولة الاتحادية والولايات عن طريق المشاركة المباشرة بالبرنامج الانتخابي للأحزاب أو تقديم المقترحات والمطالب للجهات الرسمية لصانع القرار المحلي والاتحادي أو غير المباشرة عبر التأثير بالفاعلين السياسيين من خلال جماعات الضغط المجتمعية ومنظمات المجتمع المدني والأعلام الرقمي"^(٢)، ومن إيجابيات هذا الأجراء ليس إصلاح العمل السياسي وحسب وإنما ساهم بالموازنة مابين إرادة القوى الشعبية والفاعلين السياسيين، لتصبح مسألة السيادة الشعبية والمساواة السياسية ليست حالة مؤقتة أو توظف لإغراض إنتخابية، وإنما دائمة وأساسية ومثبتة قانونيا وقابلة للتنفيذ لأن عملية إتخاذ القرار الجماعي المشترك سيسهم بإنتاج بيئة ديمقراطية ديناميكية مرنة قادرة على تنفيذها لتحصد نتائج أسرع حلاً وأكثر قوة، مما سيعزز من الفهم المستنير للتفكير العقلي للذات الفردية والجماعية ويمنحها وعي أعمق لفهم طبيعة العمل السياسي وأهمية ترتيب مخرجاته لتكوين مستقبل أفضل لهم، وإنسجاماً مع مبادئ وقيم الديمقراطية الليبرالية والنظرية الأخلاقية التي تمثل الثوابت الفكرية للمجتمع وسعيه الدائم نحو تحقيق الخير العام، أن توظيف مخرجات النظريات السياسية المعاصرة والمتأثرة بالفكر الترנסندنالي نشر "ثقافة الإصلاح الجماعاتي للممارسة السياسية، وحفزت على إنتاج بيئة مجتمعية فاعلة ومحركة للمطالبة بتنفيذها على مختلف المستويات وبما يضمن حقوقه ومصالحه"^(١)، وبرزت آثاره الإيجابية داخليا برفعه لمستوى قدرات الأغلبية ودعمهم لضمان الحقوق والمساواة للذات الجماعية وبشكل متوازن مع الذات الفردية، وخارجياً تحولت الديمقراطية الليبرالية الأمريكية لإنموذج عالمي وسخرت أدوات العولمة لنشر تجربتها كنهج سياسي وثقافي تقنيس منه الدول الأخرى، ووظف كجزء من القوة الناعمة لسياستها الخارجية لتدعم المزيد من قوة تأثيرها كدولة عظمى، وتضاعف من روابطها وصلاتها وتحالفاتها الخارجية لأستدامة أنموذجها عالمياً.

(٢)Ibid, p97-100.

(١)Robert W. Maloy, op-cit, p119-122.

وعلى الرغم من ذلك لم تستطع الإيرادات الجماعية الحفاظ طويلاً على مسارها الإصلاحية، ولم تتمكن من الاستمرار بحصد نتائج إيجابية دائمة بسبب تغير الفاعلين السياسيين التقليديين، نتيجة لهيمنة الفاعلين الاقتصاديين على إدارة السلطة ومخرجات صنع القرار، إذ لم تكن طبقة الأثرياء والشركات العملاقة الصناعية والتكنولوجية بالاستحواذ على عمليات المنح الداعمة للمرشحين بالحملات الانتخابية، وإنما أصبحوا هم جزء منها وتمكنوا من التحكم بمخرجاتها لتعبر عن إرادتهم لا إرادة المجتمع ما أدى لتذبذب عمليات الإصلاح وتقليص حجم نتائجها الواقعية، ويشكل فوز الرئيس ترامب الشاهد الفعلي لتأرجحها كما أفقدت التفكير الترנסندنالي قيمته وجودته بالوعي الجماعي، وهددت الديمقراطية الليبرالية بالتآكل لولا أن ردود الفعل تجاه سياساته الداخلية والخارجية أعادت التوافق بين إرادة الفاعلين السياسيين والمجتمع للعودة للمسار الطبيعي والذي نتج عنه فوز جو بايدن في الانتخابات الرئاسية العام ٢٠٢١.

• الخاتمة والاستنتاج:

أسهمت الترנסندنالية بتطور بنية الفكر السياسي الأمريكي المعاصر وجوهر أفكارها ومعتقداتها، أعطت للعقل المفكر سمة الانفتاح على النظريات الفلسفية والسياسية والنظر والتفاعل معها، ليس من منظور التأمل وإنما عبر التجريب والنقد والشك لتدركها الذات وتقع بمدخلاتها وتتمكن من تحقيق مخرجاتها وبما يتواءم مع حاجات الفرد والمجتمع على مختلف المستويات، أما العقل الأنساني أستطاع عبرها فهم حدود نظرية المعرفة وأكتشف أن إيمانه الديني ومقدساتها لا ترتبط بالأفكار الميتافيزيقية، وإنما بمدى قدرته الذاتية وتوظيفها ليمو لأعلى درجات الأيمان عندها يصل لحقيقية الإدراك العقلاني لعلاقته الروحية بالله، أن تركيز التفكير المتعالي على بناء شخصية الإنسان لتوازن بين نضوج وعيه وإرادته الحرة، وبين المبادئ الأخلاقية وكلاهما سيضاعفان الخير المطلق وهو الجوهر العميق المستتر بالنفس البشرية، وهذا يتطلب وضع قواعد للتنظيم والضبط ضمن العقد الإجتماعي لينماهى مع معتقداتهم الترנסندنانية ويعمل على تحقيقها بإدارة عقلانية للسلطة والقانون والنظام السياسي، وهذا النضج بالتفكير والتواصل بين المتعاقدين بعد الاستقلال الأمريكي عزز من تثبيت دعائم الديمقراطية الليبرالية وقيمها ومبادئها وأسهم ببناء الأمة- الدولة المستقرة.

وعلى الرغم أن التفكير الترנסندنالي بدأ يفقد وجوده في صدارة خطاب وسلوك الفاعلين السياسيين بإدارة السلطة ومؤسسات الدولة، لكن تأثيره لم يتوقف وساعد بظهور نظريات فلسفية وإطروحات سياسية، لعبت

دورا مهم في تجديد بنية الفكر السياسي والأرتقاء بواقعه ليوكب المتغيرات العديدة في القرن العشرين والألفية الثالثة، لتلبية متطلبات المجتمع وإحتياجاته المتجددة لتظهر لنا الذرائعية والنقدية الواقعية الجديدة والجماعانية، كأطروحات فكرية تمثل حلقة الوصل بين التفكير الترندنتي والقضايا المعاصرة، كالتعدد والتنوع وأحتواء الأختلاف العرقي والثقافي وعدالة التوزيع الجماعاتي ومبدأ الخيار العقلاني لإدارة السلطة بإرادة جماعية، وجميعها رفعت مستوى نضوج الوعي السياسي لتتعاقد الإرادة الذاتية والمجتمعية لتحفيز وإستجابة البيئة السياسية، لإجراء إصلاحات شاملة ليتمتعوا بحقوق المواطنة الكاملة لصنع وإتخاذ القرار وفق مبدأي الحريات الليبرالية والفرص المتساوية، وأن كانت تتعرض للتراجع أو التذبذب بفعل مؤثرات الفاعلين الجدد بالعمل السياسي، لكنها تبقى من ثوابت فكر وثقافة المجتمع الديمقراطي الأمريكي المعاصر.

References:

- 1- Abdel Wahab Al-Mesiri and Fathi Al-Triki, Modernism and Postmodernism, Dar Al-Fikr Publishing, Damascus, 4th edition, 2016.
- 2- Ahmed Abdel Halim Attia, New Realistic Values, Al Nour Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 2010.
- 3- Asaf Muhammad, Social Capital: A Developmental Approach, Damascus Magazine, Volume 31, Issue 3, 2015.
- 4- Carol C. Gould, Interactive Democracy, University of New York, 2014.
- 5- Charles Morris, Pioneers of Pragmatic Philosophy, translated by Ibrahim Mustafa Ibrahim, University Knowledge House, Alexandria, Egypt, 2011.
- 6- Cris Voparil, Reconstructing Pragmatism, Publisher Oup USA, 2022.
- 7- Elinor J. Pierce, Jon M. Sweeney, Pluralism in Practice, Publisher Orbis Books, 2023.
- 8- Hamdi Mahran, Civil Obedience and Civil Disobedience between William Bailey and Henry Thoreau, Dar Drawing with Words for Publishing and Distribution, 2023.
- 9- Howard Zinn, The Popular History of the United States of America, translated by Shaaban Makkawi, National Center for Translation, Cairo, 2005.
- 10- Immanuel Kant, Critique of the Queen of Government, translated by Saeed Al-Ghanimi, Al-Jamal Publications, Beirut, Lebanon, 2009.
- 11- Joel Myerson, Transcendentalism, Oxford University Press, 2000.
- 12- Joseph Cook, Transcendentalism, Legare Street Press, 2022.

- 13- Katrina Forrester, In The Shadow of Justice, Princeton University Press,2019.
- 14- Lawrence Buell, The American Transcendentalists, Modern Library Publisher, 2006.
- 15- Michael J. Sandel, The Tyranny of Merit, Publisher penguin,2021.
- 16- Mihaela Kelemen, Nick Rumens, American Pragmatism and Organization, Publisher Routledge, 2016.
- 17- Octavius Brooks, Transcendentalism in New England, a History, Publisher Creative Media Partners, LLc, 2021.
- 18- Peter Olen, Wilfrid Sellars and The Foundations of Normativity, Publisher Palgrave Macmillan London, 2016.
- 19- Philip F. Gura, American Transcendentalism, Hill & Wang Press, 2008.
- 20- Ralph Waldo Emerson, Freedom and Transcendentalism, Wafaa Alwani, and Samir Tanago, Dar Al-Wafa Donia for Publishing and Printing, Alexandria, 2020.
- 21- Robert Spiller, American Literature 1910-1960, translated by Mahmoud Mahmoud, Al-Hindawi Publishing and Distribution Foundation, revised version, 2022.
- 22- Robert W. Maloy, Building Democracy for All: Interactive of Government and Civic Life, Publisher Edtech Books, 2020.
- 23- Rudolf Stammler, The Theory of Justice, Law& Justice Press, 2022.
- 24- Steven Seidman, Contested Knowledge, Social Theory in Our Days, translated by Morsi Al-Tahawi, Arab Center for Research and Studies, Qatar, 2021.
- 25- Tiffany K. Wayne, Woman Thinking: Feminism and Transcendentalism in Nineteen- Century America, Lexington Books Press, 2005.
- 26- Walter Leatherbee Leighton, French Philosphers and New- England Transcendentalism, Legare Street Press, 2023.
- 27- Warren, Robert, Romantism, Newyork, Garland, 1986.